

اللعب تحت سقف الحرب



16 أكتوبر 2018 - 06:18

طلال عوكل

بعد أن بدا وكأن الأوضاع في قطاع غزة تتجه نحو انفراجات متدرجة عادت الأوضاع لتشهد توتراً كبيراً، تدفع الكثير من الصحافيين والمهتمين لطرح سؤال الحرب مرة أخرى. يوم الجمعة المنصرم، كان يوماً صعباً، حيث سقط سبعة شهداء، وأقل قليلاً من منتهي جريح، واستخدمت القوات الإسرائيلية ذخائر حية، ومن أنواع جديدة، مدمرة، لم يتعرف المختصون حتى الآن إلى طبيعتها.

وبالرغم من هذا التصعيد الذي بادرت إليه إسرائيل، إلا أن وزير دفاعها اتخذ قراراً بمنع دخول المحروقات، كل أنواع المحروقات والغاز إلى قطاع غزة، وليس فقط السولار القطري الخاص بمحطة توليد الكهرباء.

اجتماعات "الكابينت"، والوزراء أفضى إلى جولة جديدة من التهديدات بأن الأمور وصلت إلى نقطة الصفر، وأن إسرائيل تفقد صبرها وقد تتجه نحو معالجة الوضع بـ"الكي". المقاومة من جانبها تبدي استعداداً للمواجهة، وتعلن حركة حماس والهيئة الوطنية لكسر الحصار، عزمها على مواصلة المسيرات، ما لم تحصل على ضمانات أكيدة، برفع الحصار بالكامل، وأن الإجراءات الجزئية، لا تكفي لوقف نشاطات مسيرات العودة.

وبصراحة لا يمكن الوثوق بالعود الإسرائيلية، التي يمكن العودة عنها وإلغاؤها في أي وقت حسب المصلحة الإسرائيلية، والأهداف التي تسعى إسرائيل لتحقيقها.

وبالرغم من المؤشرات العملية التي ظهرت حتى الآن من خلال السماح بتوريد وإدخال السولار القطري لمحطة توليد الكهرباء، والمساعدة المالية التي خصصها أمير قطر، والحديث عن أن موظفي حماس، المدنيين سيحصلون على راتب كامل لثلاثة أشهر خلال فترة قريبة إلا أن هذه تبقى مجرد مؤشرات، لا تكفي لوقف التوتر الحاصل.

الكل يستعجل الدخول العملي لملف قطاع غزة، بخلفيات وأهداف متباينة ولكن بنتيجة واحدة، وفي مقدمة هذه الأطراف الولايات المتحدة التي أصدرت تعليماتها لنوي العلاقة، لتقديم المساعدة لسكان القطاع، ثم قدمت الشكر لمن بادر إلى ذلك. إسرائيل مستعجلة لفتح ملف غزة من أجل "تأهيله" كما يقول نتنياهو، وحتى تستدير نحو الضفة الغربية، بخطوات حاسمة، تتجاوز ما يجري من مخططات لتهود القدس ومدينة الخليل، وهدم الخان الأحمر.

حماس وفصائل المقاومة هي الأخرى تستعجل جني ثمار الحراك الشعبي على الحدود الشمالية والشرقية من قطاع غزة، وهم يدركون أن هذا الحراك لا يمكن أن يتواصل إلى الأبد، وأن الأوضاع الأساسية في قطاع غزة، لا تحتمل المزيد من الضغط والعذاب، والاستنزاف. الناس في قطاع غزة يترقبون تطورات الأوضاع، وينتظرون الفرج، الذي طال أمده، بعد أن أخذ منهم الحصار كل مأخذ.

ولكن بالرغم من كل هذه التطورات، المركبة، إلا أن مسألة تدهور الأوضاع إلى درجة ارتكاب عدوان إسرائيلي رابع على القطاع مسألة أخرى تحتاج إلى تدقيق.

لا تزال إسرائيل، بعيدة عن التفكير بارتكاب عدوان واسع، لا تستطيع تحديد أهدافه، ولا تستطيع ضمان تحقيق انتصار نظيف، يعزز مكانة الأحزاب المتنافسة على كسب الجمهور الانتخابي. فوق هذا فإن الحسابات الإسرائيلية تقوم على أن ثمة إمكانية لتحقيق هدف التوصل إلى تهدئة أو هدنة، وفتح ملف غزة، على عملية "التأهيل"، دون أن تتكبد ثمن ذلك، ودون أن تقوم بخلط الأوراق، واستنزاف وقت طويل حتى تتوفر إمكانية فتح ملف غزة.

حماس هي الأخرى ليست صاحبة مصلحة في انفجار الوضع على نحو واسع وشامل، فهي بالإضافة إلى وجود خيارات أخرى أقل تكلفة، فإنها تدرك طبيعة الخسائر والدمار الذي سيقع وتدرك أيضاً أن الناس في قطاع غزة، لا يرحبون بمثل هذا التصعيد المدمر، الذي سيتبع.

وتدرك أيضاً ان الناس في قطاع غزة لا يرحبون بمثل هذا التصعيد المدمر الذي ينتهي في كل مرة، بالعودة إلى مربع صفر، وتهدئة جديدة غير مستقرة.

حماس والفصائل مرتاحة نسبياً إلى الورقة الضاغطة التي تمثلها مسيرات العودة وكسر الحصار، بالرغم من الثمن الذي تدفعه، ومرتاحة أيضاً لمعرفتها بأن الظروف المحيطة، تتساقط مع الحاجة لتهدئة وحلول غير حربية. كم مرة صرح ملادينوف أن الأوضاع على حافة الانفجار، وينسب لنفسه، شرف منع وقوع مثل هذا الانفجار، بالرغم من أنه قبل غيره وأكثر من غيره، يعرف بأن الطرفين لا يرغبان في الوصول الى ذلك. يعرف ملادينوف، والكل أن جزءاً من فعاليات مسيرات العودة، كانت في ظروف سابقة، تشكل ذريعة قوية لإسرائيل لكي تشن عدواناً واسعاً على قطاع غزة، لكن الأمر مختلف هذه المرة.

وتعرف الحكومة الإسرائيلية بكل مستوياتها السياسية والأمنية والعسكرية، كما تعرف حماس أن ثمة أطرافاً جاهزة للتحرك فوراً، لمنع وقوع الانفجار، والعودة لتنشيط المفاوضات بشأن التهدئة وشروطها.

إذاً فإن الأمر لا يتعدى المحاولة من قبل الطرفين لممارسة ضغط كل على الطرف الآخر، لتحسين شروط التهدئة بما يجعله يدعي بأنه حقق انتصاراً على الطرف الآخر.

ما زلت أعتقد أن قطاع غزة مقبل على مرحلة جديدة من الانفتاح، وتحسين الأحوال، لأن السيد الأميركي يريد ذلك، وكذلك الإسرائيلي، ولأسباب سياسية بامتياز، أما البقاء على الوضع الإنساني فإنه مجرد ديكور أو وسيلة لا أكثر.